

سلسلة الفوائد الحديثية (١)

هداية السالك إلى فوائد قصة كعب بن مالك رضي عنه

جمع وإعداد

أبي معاذ ظافر بن حسن آل جبّان

dhaferhasan@gmail.com

dhaferhasan@gawab.com

النشرة الأولى

رمضان - ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [يوسف: ١١١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
فإن النبي ﷺ حرص أشد الحرص على تزكية أصحابه ؓ أفضل تزكية، وتوجيههم أحسن توجيه، فهو ﷺ معلمهم، ومربيهم، وقدوتهم، وإمامهم ﷺ، فكان من ذلك أن تخرج من تحت يده ﷺ جيل رباني فريد.

ومن تلك المواقف التي زكى فيها النبي ﷺ أصحابه موقفه من كعب بن مالك وصاحبيه ؓ، ففي هذه القصة من العبر والعظات والفوائد العذاب الشيء الكثير، وقد أحببت أن أجمع تلك الفوائد من هذه الحادثة العظيمة، وأرتبها حتى يُستفاد منها.

وقد مضيت في هذه الرسالة على اعتماد نص القصة مما في الصحيحين فقط، ثم خرجتها من مواطنها في الصحيحين، ثم بينت غريب ألفاظها، ثم ترجمت بترجمة موجزة لكعب بن مالك ؓ، ثم ذكرت فوائد القصة.

وقد سرت في استنباط فوائد هذه القصة على السياق، فكلما مررت بفائدة ذكرتها، ثم أنقل من القصة المقطع الذي استفدت منه الفائدة في الغالب؛ فاجتمعت الفائدة مع مكان استنباطها، وذلك حتى يسهل الاستفادة منها.

وبعد فراخي من استنباط الفوائد راجعت ما قاله الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في كتابه فتح الباري عن هذه القصة، وكذلك الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرحه على صحيح الإمام مسلم، فأضفت من الفوائد ما فاتني إيراده، فاجتمعت هذه الفوائد، وقد وسمت هذا الرسالة بـ (هداية السالك إلى فوائد قصة كعب بن مالك ؓ)، وهي أول رسالة في هذه السلسلة المباركة، أسأل الله الهداية والتسديد، والعون والتيسير، والإخلاص والتوفيق.

وَكَبَّ

أَبِي مُعَاذٍ ظَا فَرُّ بْنُ حَسَنٍ آلِ جُبَّانٍ

dhaferhasan@gmail.com
dhaferhasan@gawab.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الحديث:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ - قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ؓ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبْرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاِحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفْرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يُرِيدُ الدِّيَّوَانَ - قَالَ كَعْبٌ فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيُخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ السَّمَاءُ وَالظَّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجُدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَحْقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجُلَ فَأَدْرِكُهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِّنْ عَدَرِ اللَّهِ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكَرْ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ « مَا

فَعَلَ كَعْبٌ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرَهُ فِي عِطْفِهِ؛ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَ نِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعْنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظْلَمَ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا.

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَتَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَائِيَّتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَحِثُّهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ « تَعَالَ ». فَحِثُّتُ أَمَشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: « مَا خَلَفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَمَنْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ ». فَكُفْتُ وَنَارَ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبُ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِي. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهَا إِسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوا هُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً،

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ: أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمْنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشِدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشِدْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَمَنْ يَجْعَلُكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ. فَقُلْتُ: لِمَا قَرَأْتُمَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخُمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَرِهَا وَلَا تَقْرُبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرُبُكَ»؛ قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ: لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَن كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتُ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ

جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَبَشِرْ. قَالَ فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ،
وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ
صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ
أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهُ
مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا
فَوْجًا يَهْتَوِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ
اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لَطْلِحَةَ، قَالَ
كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ الشَّرورِ « أَبَشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ
مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ ». قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ « لَا، بَلْ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا
جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ». قُلْتُ فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ،
فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا
أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيهَا
بَقِيَتْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.

فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبَتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا
مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا نَخْلِفُنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ.

تخريج الحديث:

أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ (فتح ٨/٤٥٢ برقم: ٤٤١٨)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤/٢١٢٠ برقم: ٢٧٦٩) وهذا لفظ البخاري.

ترجمة كعب بن مالك ؓ:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبدالله وقيل أبا عبدالرحمن، وأمه ليلي بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضاً. كان ﷺ أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر وعرف به، ثم أسلم وشهد العقبة. لما قدم على رسول الله ﷺ المدينة آخى بينه وبين طلحة بن عبيدالله حين آخى بين المهاجرين والأنصار.

لم يشهد ﷺ بدرًا وشهد أحداً والمشاهد كلها حاشا تبوك، فإنه تخلف عنها، وهو أحد الثلاثة الذين قال الله فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة ؓ، تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ونزل القرآن في شأنهم.

وفي يوم أحد لبس كعب ؓ لأمة النبي ﷺ وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمة فجرح كعب ابن مالك ؓ أحد عشر جرحاً.

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - : (كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت و عبدالله بن رواحة و كعب بن مالك ؓ فكان كعب يخوفهم الحرب، و عبدالله يعيرهم بالكفر، و كان حسان يقبل على الأنساب، فبلغني أن دوساً إنما أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك ؓ:

قضيينا من تهامة كل وتر وخير ثم أغمدنا السيوفاً
نُخِرنا ولو نطقنا لقاتل قواطعهن دوساً أو ثقيفاً

فلما بلغ دوساً قالوا: خذوا لأنفسكم، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف).

توفي ؓ في زمن معاوية بن أبي سفيان ؓ سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره ؓ.

مصادر ترجمته ؓ:

الإصابة في تمييز الصحابة (٥/٤٥٦ برقم: ٧٤٤٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٣٨١ برقم: ٢٢٣١).

غريب الحديث:

تَوَاتَقْنَا: بمثلثة وقاف، أي تحالفنا وتعاهدنا والتَّوَاتَقُ تفاعلٌ منه والميثاقُ العهد، أي أخذ بعضنا على بعض الميثاق لما تبايعنا على الإسلام،^(١).

المَفَارِ: الصحراء البعيدة عن العمار، والماء، تَفَاوُلًا من الفوز بالنجاة منها.

فَجَلَّى: بالجيم وتشديد اللام أي أوضح^(٢).

أُهْبَةٌ عَزْوِهِمْ: الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء، أي ما يحتاج إليه في السفر والحرب^(٣).

وَتَفَارَطَ الْعَزْوُ: بالفاء والطاء المهملة، أي فات وسبق^(٤).

(١) لسان العرب (١٠/٣٧١)، والنهاية في غريب الحديث (٥/٣٢٦)، وفتح الباري (٨/٤٥٦).

(٢) لسان العرب (٥/٣٩٢)، والنهاية في غريب الحديث (٣/٩٤١)، وفتح الباري (٨/٤٥٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١/٨٠٣)، وفتح الباري (٨/٤٥٧).

(٤) لسان العرب (١/٢١٧)، والقاموس المحيط (ص: ٧٧)، وفتح الباري (٨/٤٥٨).

المَغْمُوص: بالغين المعجمة، والصاد المهملة، أي مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق^(١).

يُؤَنَّبُونِي: بنون ثقيلة ثم موحدة، والتَّائِبُ المبالغة في التَّوْبِخ والتَّعْنِيف^(٢).

فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ: بالسين المهملة والقاف المعجمة، أي أنظر إليه في خفيه^(٣).

حَتَّى تَسَوَّرْتُ: أي علوت سور الدار^(٤).

إِذَا نَبَطِي: النبط نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه، وهم فلاحوا العجم، وهذا النبطي الذي

جاء لكعب ؓ نصراني^(٥).

نَوَاسِكَ: بضم النون وكسر السين المهملة من الموااساة^(٦).

فَتَيَمَّمْتُ: أي قصدت^(٧).

فَأَوْفَى: أي أشرف واطلع^(٨).

فَسَجَرْتُهُ: بسين مهملة، وجيم، أي أوقدته^(٩).

(١) لسان العرب (٦١/٧)، وفتح الباري (٤٥٨/٨).

(٢) لسان العرب (٢١٦/١).

(٣) فتح الباري (٤٦١/٨).

(٤) لسان العرب (٣٨٤/٤)، والنهية في غريب الحديث (١٠٣٠/٢)، وفتح الباري (٤٦١/٨).

(٥) فتح الباري (٤٦٢/٨).

(٦) المصدر السابق.

(٧) لسان العرب (٢٢/١٢)، وفتح الباري (٤٦٢/٨).

(٨) لسان العرب (٣٩٨/١٥)، والنهية في غريب الحديث (٤٦٩/٥)، وفتح الباري (٤٦٢/٨).

(٩) فتح الباري (٤٦٢/٨).

الفوائد المنتقاة من هذه القصة:

- ١ - هذه القصة صحيحة ثابتة بالكتاب كما في سورة التوبة، وبالسنة الصحيحة فهي في أصح الكتب بعد القرآن الكريم البخاري ومسلم.
- ٢ - جعلها الإمام البخاري في باب المغازي وهذا من فقهه - رحمه الله تعالى - فالقصة في باب الجهاد وخطورة التخلف عنه إذا استنفر الإمام الشرعي الناس.
- ٣ - الإمام مسلم جعلها في كتاب التوبة، وذلك من فقهه - رحمه الله تعالى - أيضاً، فقد تجلى في هذه القصة صدق التوبة والصبر عليها، وشدة البلاء الذي معه تضعف النفوس.
- وقد ظهر ذلك في التعبير القرآني عن هؤلاء التائبين، فقال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].
- ٤ - مشروعية إيراد قصص التائبين حتى يستفيد ويعتبر منها السامع.
- ٥ - أفضل من يورد القصة هو صاحبها، الذي عاش أحداثها، وتنقل بين فصولها، فمنه تكون أصدق وأوثق.
- من قول عبدالله بن كعب: (سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ؓ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ).
- ٦ - جواز تحدث العبد بما أنعم الله عليه من النعم بشرط أن يأمن الفتنة على نفسه، أو من حسد غيره، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].
- من قول كعب ؓ: (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ).
- ٧ - ومنها أيضاً: حرص الصحابة ؓ في مشاركة الرسول ﷺ ومتابعته في كل أعماله، ومن أعظمها وأجلها الجهاد في سبيل الله ﷻ.
- ٨ - ومنها أيضاً: عدم تشيع العبد بما لم يعط، فلا يمدح نفسه بشيء ليس فيه فقد قال ﷺ من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - : «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَّاسٍ ثَوْبِي زُورٍ» أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٥٧٠٧).

من قول كعب ؓ: (غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ).

٩ - إباحة الغنائم لهذه الأمة، فقد أحلها الله يوم أن كانت محرمة على من قبلنا، فهي من خصائص هذه الأمة.

من قول كعب ؓ: (إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ).

١٠ - مشروعية الإغارة والمباغطة للعدو المحارب في ماله ونفسه.

من قول كعب ؓ: (إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ).

١١ - ومنها أيضاً: إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه، وجعل السنن الكونية تسير لتحقيقه، فقدره نافذ، وأمره بين الكاف والنون عَجَلًا.

١٢ - مشروعية التعاهد والتعاقد على نصره الدين.

من قول كعب ؓ: (وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ).

١٣ - ومنها أيضاً: فضل نصره الإسلام، وأنه من أعظم القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله ﷻ، ويرجو ثوابها عنده؛ قال ﷻ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]؛ وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٨].

١٤ - ومنها أيضاً: حسنات الإنسان وسابقته معها كانت لا تعصمه من الخطأ، ولا تمنع من معاتبته أو معاقبته عليه، وإن كانت محسوبة له.

١٥ - فضل أهل بدر والعقبة، وأن لهم ميزة على غيرهم، وهذا متقرر عند الصحابة ؓ.

من قوله ؓ: (وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا).

١٦ - قول الحق ولو على النفس، بدون زيادة ولا نقصان وهذا من التجرد الذي نحن بحاجة إليه وخاصة في هذا الزمن.

من قول كعب ؓ: (كَانَ مِنْ خَبْرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ).

١٧ - وفيه أيضاً جواز الحلف، ويحذر المسلم من الإكثار منه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].
من قوله ؓ: (وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ).

١٨ - جواز التورية للحاجة، وهي أن يقول القائل كلاماً يقصد به شيئاً ويفهم السامع منه شيئاً آخر.

من قوله ؓ: (وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا).

١٩ - الحنكة العسكرية التي كان النبي ﷺ يتمتع بها، فهو يوري لأجل أن لا يصل الخبر إلى العدو فيأخذ أهبطه واستعداده، بل كان يحافظ على أسرار سير جيشه ﷺ حتى يباغت عدوه، وينال ما يريد.

من قوله ؓ: (وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا).

٢٠ - ومنها أيضاً: أن للعدو بين المسلمين جواسيس يخدمونهم ويخبرونهم بأخبار المسلمين؛ وكان الجواسيس في عهد النبي ﷺ المنافقون.

٢١ - أهمية بيان عوارض الطريق وصعوبته ومخاطره للمدعوين، وجعلهم على بصيرة من أمرهم، وكذلك عند بداية كل عمل لأخذ الأهبة والاستعداد الحسي والمعنوي.

من قوله ؓ: (حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ).

٢٢ - إذا استنفر إمام المسلمين الناس وطلب منهم الجهاد كان واجباً عليهم وجوباً عينياً، فالرسول ﷺ جلاً أمرها ودعاهم لأخذ الأهبة والاستعداد فيكون استنفاراً منه ﷺ للخروج فيها؛ وهذه الحالة الأولى من حالات وجوب الجهاد على الأعيان، دل لها حديث ابن عباس - رضي الله

عنها - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا». أخرجه البخاري (٢٦٣١) ومسلم (١٨٦٤)؛

والحالة الثانية: إذا حضر العدو بلداً من بلدان المسلمين تعين على أهل البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو ويبدأ الجوب بالأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

والحالة الثالثة: إذا حضر المسلم المكلف القتال، والتقى الزحفان، وتقابل الصفان، كان الجهاد في حقه واجباً عينياً، قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]. وجاء من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قال: - وذكر منها - «وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ» أخرجه البخاري (٢٦١٥) ومسلم (١٤٥).

من قوله ﷺ: (فَجَلَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ)

٢٣ - ومنها أيضاً: وجوب الإعداد للجهاد وأخذ الحيطة في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٢٤ - تربية الأتباع على المراقبة الدائمة لله ﷻ في السر والعلن، أسلوب ناجع لحل كثير من أمراض الأمة صغرت أم كبرت.

من قول كعب ؓ: (فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيُخْفَىٰ لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ).

٢٥ - على القائد والمربي أن يكون قدوة للأتباع في كل عمل، فهذا رسول البرية ﷺ يتقدمهم في هذه الغزوة العظيمة، فكان الصحابة ؓ تبع له في ذلك، وكان له الأثر الكبير عليهم.

من قوله ﷺ: (وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ).

٢٦- تقديم ما يجب الله ورسوله ﷺ على ما تحب النفس .

من قوله: (وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ).

٢٧- ومنها أيضاً: عظم التضحية التي كان يقدمها أصحاب رسول الله ﷺ لخدمة دينهم، ونصرة نبيهم ﷺ، فهاهم يعدون للمعركة بكل جد واجتهاد مع علمهم ما ينتظرهم من هيب الصحراء، وعطشها وجوعها، وبعد الشُّقة، وقوة بأس العدو، وألم الفراق للأهل والأولاد، والأرض، وهاهم يفارقون أرضهم وقد أخذت حلتها، وازينت، وطاب ثمرها وظلها.

٢٨- الحرص والاجتهاد على تهيئة النفس على العبادة، فكثير من العبادات يشترط أن يتهيأ لها العبد بالصلاة بالطهارة، والصيام بالسحور وغيرها، فإذا جاءت العبادة كانت النفس مستعدة للإتيان بها على أكمل وجه.

من قوله ﷺ: (وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ).

٢٩- خطورة التسويف وأنه يفسد على العبد أمر دينه ودنياه؛ يقول ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في صيد خاطره: (إياك والتسويف فإنه أعظم جنود إبليس)، ويقول أبو حامد الغزالي كما في الإحياء: (إن التسويف يسبب أربعة أشياء: ترك الطاعة والكسل فيها، وترك التوبة وتأخيرها، والحرص على الدنيا والاشتغال بها، وقسوة القلب ونسيان الآخرة).

من قوله ﷺ: (فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجُدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَحْقُهُمْ، فَعَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ عَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ).

٣٠- على المسلم أن يسارع في الطاعات، ويحرص على أدائها بدون بعزم وجد، ويحرص على

سد الخلل وإدراك ما فات.

من قوله ﷺ: (وَهَمَّمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأَدْرِكُهُمْ).

٣١- الاحتجاج بالقدر يكون في المصائب لا في المعائب، فإذا أصيب العبد بمصيبة فيجوز له أن يحتج بالقدر عليها، أم الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي فلا.
من قوله ﷺ: (فَلَمْ يُقَدِّرْ لِي ذَلِكَ).

٣٢- التحسر على ترك الطاعات، ولوم النفس عليها يدل على صحة القلب.
من قوله ﷺ: (فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مَنَّ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعْفَاءِ).
٣٣- أزهّد الناس في الطاعات والقربّات هم أهل النفاق، الذين يلقون المعاذير كذباً وزوراً.
من قوله ﷺ: (أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ).

٣٤- إغذار الله ﷻ للضعفاء عن الجهاد في سبيله، وهذا عذرا شرعي يمنعهم من الجهاد؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

من قوله ﷺ: (أَوْ رَجُلًا مَنَّ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعْفَاءِ).

٣٥- على القادة والمرين أن يجالسوا الناس ويخالطوهم ويسألوا عن حالهم، فهذا النبي ﷺ يجلس مع أصحابه ويحدثهم ويسأل عن حالهم. من قوله ﷺ: (فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بَتَبُوكَ).

٣٦- تفقد النبي ﷺ لأصحابه، ومنه مشروعية متابعة الداعية للمدعوين، والسؤال عنهم وتفقد حالهم. من قوله ﷺ: (فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بَتَبُوكَ « مَا فَعَلَ كَعْبُ »).

٣٧- على المسلم أن يحرص أن لا يجعل نفسه في مواطن التُّهم، فهذا الرجل لما علم من كعب ﷺ أنه ليس من أهل الأعداء اتهمه بالتخلف، وتعلقه بالدنيا. من قوله ﷺ: (فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي سَلِيمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ).

٣٨- ومنها أيضاً: عدم إساءة الظن بالناس، وإلصاق التهم بهم بدون بينة، ولا برهان، ولا معرفة لملايسات الموضوع.

٣٩- خطورة الغيبة، وأنها كبيرة من كبائر الذنوب كما ذكر الله ﷻ، وبين خطرهما رسول الله ﷺ. من قول الرجل عن كعب ؓ: (حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ).

٤٠- الذب والرد عن أعراض المسلمين من أسباب رد الله النار عن وجه العبد يوم القيامة؛ فعن أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وهذا ظاهر من فعل معاذ بن جبل ؓ حينما قال: (بِسَّ مَا قُلْتُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا)؛ فلا يحكم على شخص من موقف بل بالنظر في عامة مواقفه حتى يكون الحكم صحيحاً، والقول فيه حق.

٤١- ومنها أيضاً: إحسان الظن بالمسلمين - وهو الأصل -، ومنه قول معاذ ؓ: (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا).

٤٢- قد يكون سكوت النبي ﷺ إقرار لمعاذ بن جبل ؓ بأنه لا يعلم عن كعب ؓ إلا خيراً، أو قد يكون إغلاقاً لباب الجدل والنقاش إذا كانت المصلحة تقتضيه، فقد يكون للرجل مقالاً، وقول معاذ ؓ حق، فأراد النبي ﷺ إغلاق باب الجدل والنقاش. من قوله ﷺ: (فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

٤٣- إن النظر في العواقب يقي الإنسان من الوقوع في كثير من الأخطاء الدينية، والدينية، فلو نظر القاتل في عاقبة القتل، وأنه سيقتل لما أقدم على فعله ذلك. من قوله ﷺ: (فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَائِلًا حَضْرِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكُذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أُخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا).

٤٤- ومنها أيضاً: أن الشيطان لا يزال بالمسلم حتى يوقعه في المعصية والكفر ثم يتخلى عنه، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٩/٦)، والترمذي (١٩٣١) وقال عنه: (هذا حديث حسن)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١١٢٠٧).

- ٤٥ - أهمية الشورى في الإسلام، بشرط أن يكون المستشار مؤتمناً، وناصحاً، وذو رأي رشيد.
من قوله ﷺ: (وَاسْتَعْنَتْ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي).
- ٤٦ - العزم على قول الصدق في كل الأحوال، فالصدق منجاة للعبد، وإن ناله شيء من الأذى في سبيله، وكم الأمة في هذا الزمن بحاجة إلى قولة صادق، وصدق ناصح.
من قوله ﷺ: (فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظْلَمَ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ).
- ٤٧ - ومنها أيضاً: أن من أعظم التوفيق أن يريك الله الحق حقاً، ويرزقك اتباعه، والباطل باطلاً، ويرزقك اجتنابه، فقد أرى الله كعباً الحق فزاح عنه الباطل، فأكثر من قول: (اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه).
- ٤٨ - السنة أن الإنسان لا يطرق أهله ليلاً، فعن جابر ؓ قال: (نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا) أخرجه البخاري (١٨٠١)، ومسلم (٥٠٧٨)؛ وصارف النهي في هذا الحديث أنه جاء في باب الآداب، وحتى لا يرى الرجل من أهله ما يكره، فقد بُيِّنَت العلة في بعض الروايات: « حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغَيَّبَةَ، وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةَ »، فإذا علم أهل الشخص بمجيئه فلا مانع من أن يطرق الرجل أهله ليلاً.
من قوله ﷺ: (وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا).
- ٤٩ - السنة للقادم من سفر أن يبدأ بمسجد محلته فيصلي فيه ركعتين ثم يذهب إلى أهله بعد ذلك.
- من قوله ﷺ: (وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ).
- ٥٠ - يستحب لمن كان ذو هيئة أن يجلس للناس حال قدومه من سفر حتى يُسَلِّمَ عليه، ويتفقد حالهم، فالمصالح العامة أولى من المصالح الخاصة.
من قوله ﷺ: (ثُمَّ جَلَسَ ﷺ لِلنَّاسِ).
- ٥١ - على الإنسان إذا فعل ما يُعَاب عليه أن يبين مراده من فعله، أو يعتذر عنه بصدق.
من قوله ﷺ: (عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْغَزْوَةِ: (فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَخْلِفُونَ لَهُ)).

٥٢ - ومنها أيضاً: أن كثرة الحلف بالكذب من صفات المنافقين لقوله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (١٠٦).

٥٣ - الجهاد واجب على الرجال دون النساء، فالنساء عليهن جهاد لا قتال فيه ألا وهو الحج والعمرة كما ثبت ذلك عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

من قوله ﷺ: (وَكَانُوا بِضَعَّةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا).

٥٤ - قبول معاذير المنافقين ونحوهم بالأخذ بالظاهر ما لم يترتب على ذلك مفسدة.

من قوله ﷺ: (فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ).

٥٥ - الأصل في التعامل مع الناس أن يعاملوا بطواهرهم، وتوكل سرائرهم إلى الله ﷻ.

من قوله ﷺ: (فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ).

٥٦ - إن التدخل في النيات واتهامها لهو من الافتراء والكذب والظلم، والله ﷻ لم يأمرنا

بالتعامل مع البواطن والنيات، بل أمرنا بمعاملة الظواهر والأعمال، وتوكل النيات إلى العالم به ﷻ.

من قوله ﷺ: (بَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ).

٥٧ - ومنها أيضاً: من السهل الخروج من غضب البشر بالمعاذير، أما الله فلا تخرج من غضبه إلا

بالصدق في القول والعمل، والظاهر والباطن.

٥٨ - استعمال بعض الإشارات، وبعض حركات الجوارح دون الكلام في علاج بعض الأخطاء

أسلوب نبوي رائع.

من قوله ﷺ: (فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ).

٥٩ - ومنها أيضاً: أن التبسم قد يكون عن غضب، كما قد يكون عن تعجب.

٦٠ - من آداب المحادثة أن تستقبل من تحدّثه بكلّيتك، ولا تلتفت عنه يمّنة ويسره وهو يحدثك.

من قوله ﷺ: (فَجِئْتُ أُمِّي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ).

٦١ - من آداب المناصحة والمصارحة أن تكون على خلوة من الناس، إلا إذا اقتضت المصلحة غير ذلك؛ فهذا كعب بن مالك ؓ جلس بين يدي رسول الله ﷺ وكان بحضرة الصحابة، لأنهم يعلمون تخلفه عن الغزوة.

من قوله ﷺ: (حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ أُمَّ تَكُنُّ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ»).

٦٢ - الاستيضاح والمصارحة وعدم التعجل منهج نبوي مع المخالف، دون تعنيف ولا تجريح، فبالاستيضاح يظهر للإنسان حقيقة الأمر، وبالمصارحة تُحلُّ جميع الإشكالات.

من قوله ﷺ: (فَقَالَ لِي ﷺ: «مَا خَلَّفَكَ أُمَّ تَكُنُّ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ» . فَقُلْتُ: بَلَى).

٦٣ - ومنها أيضاً: على المرابي متابعة من تحت يده من المترين، فيتابعهم قبل العمل، وأثنائه، وبعده.

٦٤ - الإجابة تكون دائماً على قدر السؤال، ثم يبين الإنسان ما يريد بعد ذلك، إلا إذا اقتضت المصلحة خلاف ذلك.

من قوله ﷺ: (فَقُلْتُ: بَلَى).

٦٥ - إن استقطاع الحقوق والخلوص من الخلق بالحجة والجدل الكاذب لا ينفع العبد بل هو مما يضره، ومنه ما جاء من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري (٢٥٣٤)، ومسلم (١٧١٣).

من قوله ﷺ: (وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا).

٦٦ - ومنها أيضاً: أن حسن المنطق، والإقناع مما ينعم الله به على العبد فأولى ما تُصْرَفُ فيه هي في الدعوة إلى مسديها والمتفضل بها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

٦٧- من طلب رضا الناس بسخط الله ﷻ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس؛ وقد جاء في الحديث عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

من قوله ﷺ: (لِكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ).

٦٨- الرجاء ركيزة من ركائز العبودية التي لا يصح سير العبد إلى الله - تعالى - إلا به مع الخوف والمحبة.

من قوله ﷺ: (إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ).

٦٩- تزكية النبي ﷺ لكعب بن مالك ؓ.

من قوله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ».

٧٠- الرسول ﷺ بشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ويتلقى أوامره ونواهيه من ربه ﷻ.

من قوله ﷺ: «فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

٧١- جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن عليه الفتنة.

من قول قوم كعب ؓ له: (قَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذُنْبَتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا).

٧٢- ومنها أيضاً: عدم الاستهانة بالذنوب، ولو كان ذنباً واحداً، فإن بعض الذنوب تكون هلكة العبد - والعياذ بالله - فيها.

٧٣- على المسلم أن لا يجالس من يزين له المعصية، أو من يزين له الباطل، ولو كان أقرب قريب، فإنهم قد يكونوا سبباً في إضلاله وإغوائه.

من قوله ﷺ: (فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَبِّونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبُ نَفْسِي).

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٠)، وابن حبان (٥١٠/١)، والطبراني في الكبير (٢١٥/١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٥١/١١)

وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣١١).

٧٤- التأمي بالصالحين، وسلوك سبيل المؤمنين من أعظم ما يعن العبد على الثبات على دين الله ﷻ، والبعد سبيل المجرمين.

من قوله ﷺ: (فَذَكِّرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهَا إِسْوَةٌ).

٧٥- إذا تيقن العبد أنه على الطريق الحق، والصراط المستقيم، وأنه قد سبق فعله أن يمضي ولا يلتفت للصوارف والعوارض الأرضية.

من قوله ﷺ: (فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرْتُهُمَا لِي).

٧٦- الهجر أسلوب نبوي، وتربوي ناجع، فيستخدم إذا اقتضته المصلحة، وليس على الإطلاق.

من قوله ﷺ: (وَمَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَن كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ).

٧٧- مشروعية هجران أهل البدع، والمعاصي الظاهرة أكثر من ثلاث إذا كان فيه مصلحة شرعية، فهذا النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه أكثر من ثلاث، لكن كان لمصلحة شرعية.

من قوله ﷺ: (وَمَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَن كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ).

٧٨- الاستجابة التامة لأمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ، فالصحابه ؓ ما إن سمعوا أمر رسول الله ﷺ بهجر هؤلاء الثلاثة حتى استجابوا لذلك استجابة تامة.

من قوله ﷺ: (فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا).

٧٩- عِظَمُ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَصَاحِبِيهِ ؓ.

من قوله ﷺ: (حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً).

٨٠- ومنها أيضاً: أن الله ﷻ قد يتلى عبده ليعلم صدقه وثباته على الأمر.

٨١- إذا وجد العبد من أصحابه وإخوانه جفوة، وصدود فلا يحملنه ذلك على ترك الحقوق

والواجبات.

من قوله ﷺ: (فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي

أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ).

٨٢- إن مسارقة النظر، والالتفات في الصلاة لا يقدح في صحتها، لكنه ينقصها، لقول النبي ﷺ لما سئل عن ذلك قال: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَحْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ» أخرجه البخاري (٧٥١) من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

أما الالتفات في الصلاة للحاجة فلا حرج فيه، ودل لذلك ما جاء من حديث سهل بن سعد ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصَلِّحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتَصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ - فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَّفَّتَ فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ اْمْكُثْ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى... الحديث.

وأما الالتفات بالرأس للتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الوسوسة فيسن، وذلك عند شدة الحاجة إليه، فقد ورد أن عثمان بن أبي العاص ؓ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي؛ فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَانْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قال: ففعلت ذلك فأذهبهُ اللهُ عَنِّي. أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

من قوله ﷺ: (ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظْرَ).

٨٣- لا بد للداعية من الحزم في التعامل مع المدعويين وخاصة في القضايا المهمة، فهذا النبي ﷺ كان يتعامل مع كعب ؓ بحزم، فكان كعب ينظر إلى شفتيه هل تحركت برد السلام أم لا، مع أنه ﷺ لم يكن من طبعه مثل هذا التعامل.

من قوله ﷺ: (أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظْرَ).

٨٤- على الداعية والمربي أن يهتم بإخوانه ويرحمهم، ويتفقد أحوالهم حتى وإن كانوا في فترة التربية، التي هي فترة الإعداد الديني والثقافي والتربوي، فهذا النبي ﷺ كان إذا أقبل كعب على صلاته التفت إليه الرحمة المسداه ﷺ، فإذا أقبل عليه كعب أعرض عنه.

من قوله ﷺ: (إِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي).

٨٥- إن من لوازم التربية أن المربي قد يحتاج إلى القسوة أحياناً على من يجب، وصدق القائل:

قسا ليزدجروا، ومن كان محباً *** فليقس أحياناً على من يرحم

فهذا النبي ﷺ مع محبته لكعب بن مالك ﷺ إلا أنه يعرض عنه.

من قوله ﷺ: (وَإِذَا التَّفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي).

٨٦- جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه، ومن غير الباب إذا تيقن رضاه، وأمن أن

ترى عينه ما حرم الله ﷻ.

من قوله ﷺ: (حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ).

٨٧- الإكثار من سؤال الله ﷻ العافية، فهذا كعب ﷺ بلغ به البلاء مبلغه حتى أنه تسور حائط

لأبي قتادة ﷺ. وقد كان النبي يوصي أقرب الناس له وهو عمه العباس ﷺ بسؤال الله العافية، فقد

جاء من حديث العباس بن عبدالمطلب ﷺ أنه قال: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله ﷻ قال: «سَلِ

اللَّهَ الْعَافِيَةَ». فَمَكَّنْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ

يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

من قوله ﷺ: (حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي

قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ،

أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَشَدَّدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَشَدَّدْتُهُ.

فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٩/١)، والترمذي (٣٥١٤) وقال عنه: (هذا حديث صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الجامع

٨٨- من أعظم صفات أهل الإيمان الحب في الله والبغض فيه، وموالاتة المؤمنين وبغض الكافرين، فمع ما بين كعب وأبي قتادة من المحبة، والأخوة إلا أنه لما صار فيه ولاء وبراء، لم يكلم أبو قتادة كعباً ؓ، بل انصرف عنه.

من قوله ؓ: (حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ: أَنْشُدَكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ).

٨٩- جواز الذهاب إلى الأسواق، والمشي فيها حتى لو لم يكن لحاجة، مع العلم أنها من أبغض الأراضى إلى الله ﷻ، وأماكن الفتن فيحذر المسلم منها، فقد جاء من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» أخرجه مسلم (٦٧١).

من قوله ؓ: (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ).

٩٠- الأصل في التعامل مع الكفار في البيع والشراء الجواز.

من قوله ؓ: (إِذَا نَبَطِي مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ).

٩١- ومنها أيضاً: جواز دخول جزيرة العرب لغير المسلمين للحاجة.

٩٢- ومنها أيضاً: جواز أكل طعام الكفار الذي أحله الله لنا، وأما ما لم يحله الله لنا من اللحوم التي حرمها الله علينا كلحم الخنزير والكلاب وغيرها، أو مما لم يذكر اسم الله عليه فيحرم علينا أكلها.

٩٣- إن أعداء الله من الكفار والمنافقين لا يألون جهداً في استغلال الفرص في حرب الإسلام والمسلمين والنيل منهم.

من قوله ؓ: (حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفْعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبِكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ).

٩٤- ومنها أيضاً: وجود من ينقل أخبار المسلمين لأعدائهم، فكيف علم ملك غسان بهذه

الحادثة الداخلية، إلا بوجود من ينقل أخبار المسلمين لغيرهم.

٩٥ - ومنها أيضاً: من أعظم أهداف أهل الشر استقطاب الطاقات، والمؤثرين في المجتمعات؛ وأهل الخير أولى بذلك.

٩٦ - على المؤمن أن يصبر على البلاء مهما اشتد، وأن يستعين بالله على تحمله، فقد يكون البلاء بالضراء، وقد يكون بالسراء، فهذا كعب ؓ تأتيه رسالة من مالك غسان، فأصبح الملوك يرسلونه، ومع ذلك يعد ذلك من البلاء، ويصبر على اللاأواء، مع أنه ؓ في زمن هجر.

من قوله ؓ: (فَقُلْتُ: لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ).

٩٧ - إن من أعظم أسباب الثبات على هذا الدين المفاصلة مع الباطل، وأهله.

من قوله ؓ: (فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا).

٩٨ - ومنها أيضاً: جواز إحراق ما فيه اسم الله للمصلحة.

٩٩ - ومنها أيضاً: الحذر من إبقاء دواعي الذنب، ومثيرات المعصية بالقرب من الإنسان فإن

ذلك مدعاة للوقوع في الذنب مرة أخرى، فهذا كعب ؓ لم يبق من آثار ذلك الكتاب شيئاً حتى لا تسول له نفسه أمراً قد يكون سبباً لوقوعه في الذنب.

١٠٠ - سرعة الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ في أخرج المواقف، فهذا كعب مع ما هو فيه

من البلاء، يأتيه الأمر باعتزال أهله، فيسارع في الاستجابة، بل ويسأل هل يطلقها؟ فلو أمر بذلك لكان من أسرع الناس للاستجابة، فيؤمر باعتزالها دون طلاق.

من قوله ؓ: (حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخُمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا).

١٠١ - قول كعب ؓ لامرأته: (الْحَقِي بِأَهْلِكَ) من ألفاظ الطلاق غير الصريح، فهو من ألفاظ

الكنائية، لكنه هنا لا يقع لأنه لم ينو به الطلاق.

١٠٢ - جواز خدمة المرأة زوجها برضاها.

من قول امرأة هلال بن أمية - رضي الله عنها - : (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بَنِ أُمِّيَّةَ شَيْخٍ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكَرَّهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: « لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبُكَ »).

١٠٣ - عدم التصريح بألفاظ الجماع أدب قرآني ونبوي، فينبغي للمسلم أن يستخدم الكنايات دون التصريح في هذا الباب، ويتأدب بأدب القرآن والسنة.

من قوله ﷺ لا امرأة هلال: (« لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبُكَ »)؛ قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ).

١٠٤ - شدة الندم على الذنب دليل على صدق التوبة.

من قول امرأة هلال بن أمية ؓ: (وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا).

١٠٥ - على المسلم أن يحتنب كل ما هو سبب ووسيلة للوقوع في المحذور. من قوله ﷺ لما قال

له بعض أهله استأذن النبي ﷺ في امرأتك أن تخدمك كما فعلت امرأة هلال ؓ فقال: (وَمَا يُدْرِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنَتْهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ).

١٠٦ - من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة.

من قوله ﷺ: (فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا).

١٠٧ - إن عظم الأجر على عظم البلاء، ويبتلى المرء على قدر إيمانه، فإن صبر ورضي فله الرضا،

وإن سخط فعليه السخط.

من قوله ﷺ: (فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ

الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ).

١٠٨ - إن اشتداد البلاء دليل على قرب الفرج، وأشد ما يكون الليل ظلمة قبل الفجر، وليس

بعد العسر إلا اليسر، ولا بعد الضيق إلا الفرج.

من قوله ﷺ: (فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ

الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَبْشِرْ).

١٠٩ - إن من أساسات الرحمة والمحبة بين المسلمين سرور تدخله على قلب أخيك المسلم، بل

هو من أعظم القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله - تعالى - في تعامله مع المسلمين.

من قوله ﷺ: (سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِحٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَبْشِرْ).

١١٠ - مشروعية سجود الشكر، وذلك عند حصول النعم وتجديدها.

من قوله ﷺ: (فَخَرَزْتُ سَاجِدًا).

١١١ - عدم اليأس من روح الله، فإن اليأس من أعظم أسباب البعد عن رحمة الله ﷻ، ومن أعظم الأسباب لعد التوبة، قال تعالى على لسان يعقوب العليل: بعد ما أصابه من البلاء ما أصابه من فقد يوسف وأخيه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

من قوله ﷺ: (وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ).

١١٢ - من آداب الحديث مع الناس أن يخفض الإنسان صوته، ولا يرفعه إلا للحاجة.

من قوله ﷺ: (سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِحٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ).

١١٣ - استحباب إعطاء المبشر بشارة لنقله للخبر السار، فنقل الخبر السار من صنع المعروف للناس، والنبى ﷺ يقول: « وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ »^(١).

من قوله ﷺ: (فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثُوبِي، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ).

١١٤ - تخصيص اليمين بالنية.

من قوله ﷺ: (وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ) مع أنه يملك ما لا فهو تصدق به، لكنه يريد من

الثياب ونحوها مما يخلع، ويليق بالتبشير.

١١٥ - ومنها أيضاً: شدة فقر الصحابة ﷺ.

١١٦ - استحباب العارية، وهي أن يعطي شخصاً آخر شيئاً ينتفع به، ويرده من غير مقابل.

من قوله ﷺ: (وَاسْتَعْرَتْ ثُوبَيْنِ فَلَبِسْتَهُمَا).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٨/٢)، وأبو داود (١٦٧٤)، والنسائي (٢٥٧٩)، وصححه الألباني كما في الإرواء (١٦١٧).

١١٧ - استحباب التبشير والتهنئة لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه كربة شديدة ونحو ذلك.

من قوله ﷺ: (فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبِيٍّ مُبَشِّرُونَ).

١١٨ - مشروعية التهنة بالتوبة، وأي شيء أعظم من التوبة.

من قوله ﷺ: (فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ).

١١٩ - استحباب اجتماع الناس عند إمامهم وكبيرهم في الأمور المهمة، من بشارة، ومشورة وغيرهما.

من قوله ﷺ: (حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ).

١٢٠ - لا بأس من القيام لمن تجددت له نعمة دينية أو دنيوية لتهنئته بذلك، وكذلك القيام للسلام، أو لإجلاله مكانه، أو غير ذلك من غير تعظيم.

من قوله ﷺ: (فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولُ).

١٢١ - استحباب المصافحة عند التلاقي، وهي سنة بلا خلاف.

من قوله ﷺ: (حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي).

١٢٢ - عدم نسيان إحسان الخلق، وفضائل الناس، وخاصة من تربطك بهم صلة الأخوة في الله ﷻ، فهذا كعب ﷺ لم ينس لطلحة ﷺ قيامه له وفرحته بما أنعم الله به على كعب من التوبة، وتهنئته بذلك.

من قوله ﷺ: (فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ).

١٢٣ - ومنها أيضاً: فن استغلال الفرص، فعلى المسلم أن يستغل كل فرصة تسنح له، فهذا طلحة انتهز هذه الفرصة وكان من كعب بمنزلة عظيمة.

١٢٤ - الفرح للمؤمنين بما أنعم الله عليهم به من النعم، والحزن على ما أصابهم من المصائب من صفات أهل الإيثار.

من قوله ﷺ: (فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ) فهذه رحمته ﷺ وشفقته بأمته، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم.

١٢٥ - من صفاته ﷺ أنه إذا سر استنار وجهه.

من قوله ﷺ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ).

١٢٦ - مشروعية تقديم أعمال البر بين يدي التوبة.

من قوله ﷺ: (إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ).

١٢٧ - ومنها أيضاً: استحباب الصدقة شكراً لله على النعم المتجددة، لا سيما ما عظم منها.

١٢٨ - على المسلم أن لا يكلف نفسه ما لا طاقة له به.

من قوله ﷺ: («أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»).

١٢٩ - خطورة الكذب، وأنه من الكبائر التي قد تردي العبد - والعياذ بالله -، وإن من أعظم

الكذب، الكذب على الله ورسوله ﷺ قال ﷺ: «قُلْ إِنْ أَلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» [يونس: ٦٩].

من قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَانِي بِالصِّدْقِ).

١٣٠ - ومنها أيضاً: أنه يستحب لمن تاب بسبب من الخير أن يحافظ على ذلك السبب.

من قوله ﷺ: (وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ).

١٣١ - أن من نذر أن يتصدق بكل ماله لم يلزمه إخراجه جميعه.

من قوله ﷺ: (إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرٍ).

١٣٢ - ومنها أيضاً: أنه يستحب لمن رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله، ويخاف عليه أن لا

يصبر على ذلك أن ينهاه عن ذلك، ويشير عليه أن يبقي شيئاً له ولأهله.

١٣٣ - إحسان الظن بالله مع العمل، فالله ﷻ عند حسن ظن عبده المؤمن به.

من قوله ﷺ: (وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَتْ).

١٣٤ - الاعتماد على الله ﷻ في جميع الأعمال، وطلب العون منه في صلاحها، والبراءة لله من الحول والقوة، قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب ؑ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

من قوله ﷺ: ﴿ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ ﴾.

١٣٥ - إن هذه القصة هي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ كما ذكر ذلك كعب بن مالك ؓ.

١٣٦ - إن من أعظم النعم على الإطلاق التي يمتن الله بها على العبد هي الهداية لهذا الدين، فلهذا ينبغي للمسلم أن يكثر من دعاء الله أن يثبتته على الدين، ويشكر الله ﷻ عليها.
من قوله ﷺ: ﴿ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبَةً ﴾.

١٣٧ - إن من أعظم أسباب الهلاك الكذب على رسول الله ﷺ حياً كان أو ميتاً.
من قوله ﷺ: ﴿ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ ﴾.

١٣٨ - على المسلم أن يتمسك بالحق ولو كان وحده، ولا يغتر بكثرة الهالكين، ولينظر إلى الناجي كيف نجا، ولا ينظر لمن هلك كيف هلك، فهذا كعب وصاحبه ﷺ تمسكوا بالصدق، يوم أن كثيراً ممن تخلف أعتذر كذباً وزوراً، وظن الناس نجاتهم، فكانت العاقبة للمتقين.

من قوله ﷺ: ﴿ وَكُنَّا نَخْلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ ﴾.

١٣٩ - معنى التخلف في قوله ﷺ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ ليس المراد به التخلف عن الغزوة، والمراد كما قال كعب ؓ: (لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ مُخَلِّفُهُ إِنَّا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ).

١٤٠ - إذا كان تخلف هؤلاء الثلاثة ﷺ عن رسول الله ﷺ في غزوة واحدة فجرى لهم ما سمعت، فكيف بمن عمره كله تخلف عن رسول الله ﷺ.

١٤١ - هذه القصة كان العتاب فيها عن التخلف عن جهاد الطلب، فكيف بجهاد الدفع الذي هو أوجب منه.

وفي هذه الأيام تسلط اليهود والنصارى على بلاد المسلمين، واحتلوها واستباحوا بيضتها، ونجد من أهل الإسلام من يهون في أمر الجهاد، ويناقش فيه، بل بعض من آتاه الله العلم يصدر الفتاوى التي يتضرر بها أهل الجهاد، فلا هو بين الحق، ولا هو سكت وكفَّ شره عن المجاهدين؛ فأسأل الله أن ينصر دينه وأن يخذل الكفر وأهله.

مَشَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحَدَاةً



الخاتمة

وفي الختام أحمد الله وحده على ما من به من هذه الفوائد التي فتح بها، ولولاه لما استطاع العبد فك كلمة، فله الحمد والشكر، والثناء الحسن.

كما لا ادعي أنني استنبطت كل ما في القصة من الفوائد لكن حسبي أنني اجتهدت في ذلك، فإن أصبت فمن الله المنان، وإن أخطأت فمن نفسي الظالمة الجهولة.

وأقول أخيراً: يا من اطلع على هذه الفوائد لا تحرم كاتبها من النصيحة، ونفسك من العمل، وغيرك من الفائدة، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

كان الختام من هذه الفوائد الحسان في ليلة

الخامس عشر من شهر رمضان من

عام سبعة وعشرين وأربع مئة

وألف من هجرة سيد

ولد عدنان عليه السلام.



محتويات رسالة

هداية السالك إلى فوائد قصة كعب بن مالك ؓ

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--------------------------------|
| ٦..... | المقدمة..... |
| ٧..... | نص الحديث..... |
| ١١..... | تخريج الحديث..... |
| ١١..... | ترجمة كعب بن مالك ؓ..... |
| ١٢..... | غريب الحديث..... |
| ١٤..... | الفوائد المنتقاة من القصة..... |
| ٣٦..... | الخاتمة..... |
| ٣٧..... | الفهرس..... |

